قصة
سيدنا زكريا عليه السلام

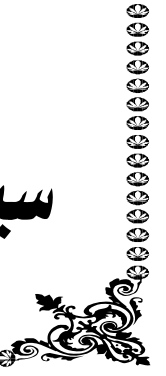

obeikandl.com

obeikandl.com

قصة سيدنا زكريا عليه السلام

١ـ دعاء زكريا لولد صالح

ولون آخر من آلاء الله على عباده وآيات قدرته التي أحاطت بكل شيء ، تجلى في دعاء زكريا لولد صالح ، رضي ، برّ ، تقي ، يرثه ويرث من آل يعقوب ، ويقوم بالدعوة إلى الله ، وذلك حين تقدمت به السنّ ، ووهن منه العظم ، ولج به الشيب ، وانقطع الرجاء من أن تلد زوجه ، فأجاب الله تعالى دعاءه وكذب ظنون الناس ، وأبطل التجارب القديمة ، فرزقه ولدًا راشدًا ، بكّرَ به النبوغ والحكمة ، والحلم والعلم ، والكتاب في الصغر ، وخص بالحنان والصلاح والتقوى والبر بالوالدين ، والرقة ولين الكنف وخفض الجناح ، وربط الله على قلب زكريا ، وأراه آيات تدل على قدرة الله الواسعة ، وأنه يفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء ، وأراه تصرفه في خلقه وفي أعضاء جسمه يحرك ما يشاء ويعطل ما يشاء ، وتحقق له أن الكون كله بيده ، يخرج الميت من الحي ، ويرزق من يشاء بغير حساب .

٢ـ نذر امرأة عمران

وقد نذرت امرأة عمران من أسرة سيدنا زكريا عليه السلام ، وكانت امرأة صالحة تحب الله وتحب دينه ــ أنها إذا ولدت ذكرًا تهب هذا الولد لله لخدمة دينه ، وسألت الله أن يتقبل هذا الولد ، وينفع به دينه وعباده ، وأن يكون داعيًا إلى الله وإمامًا من أئمة الهدى .

***

٣ـ قالت : رب إني وضعتها أنثى

وأرادت المرأة الصالحة أمرًا وأراد الله أمرًا ، والله أعلم بمصلحة عباده ، فإذا هي تلد أنثى ، فتحزن لذلك وتغشاها الكآبة ، ولكن الوليدة لم تكن ككل أنثى ، بل كانت أقوى على العبادة ، وأعلى همة في الطاعات والخيرات من كثير من الفتيان ، وإذا قدر الله ــ لحكمة يعلمها ــ أن تكون أنثى ، والنبوة لا يضطلع بأعبائها إلا الرجال ، فقد قدّر الله أن تكون أمًا لنبي صالح يكون له شأن :

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ .

[آل عمران:٣٦]

٤ـ عناية الله بالفتاة الصالحة

وكانت في كفالة سيدنا زكريا لمكانتها منه ، وفي رعاية الله تعالى ، فكان الله يكرمها بالأثمار والفواكه في غير أوانها وفي غير مكانها ، تأكل منها ما تشاء وتهب منها ما تشاء .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران:٣٧] .

***

٥ـ إلهامًا من الرب الرحيم

وألهم الله زكريا ، وهو نبي من الأنبياء ، ومن العقلاء الأذكياء ، أن من يقدر على أن يكرم فتاةً صالحةً ، أخلصت أمها في النذر بها والدعاء لها ، وأخلصت هي في الطاعة والعبادة ، بفواكه سابقة لزمانها أو متأخرة عن أوانها ، يقدر أن يهب شيخًا قد طعن في السنّ وعلاه الشيب ، وأثر فيه الوهن ، ولدًا قد انقطع منه الرجاء لعلو السنِّ ، وعقر الزوج ، وجرت العادة ألَّا يولد لرجل في هذه الحال .

فجاشت نفسه ، وعلت همته وانتعش الأمل ، وقويت الثقة بالربّ ، ففاض لسانه بدعاء أمّنت عليه الملائكة وتحركت به رحمة الله ، وكان كله إلهامًا من الرب الرحيم ، وتقديرًا من العزيز العليم :

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ .

[آل عمران:٣٨]

٦ـ بشارة ولد

وأجاب الله دعاءه ، وتوجهت إليه البشارة بولد صالح قرب زمان ولادته .

وخلق الإنسان من عجل ، فطلب إمارة على إمكان هذا الحدث الكبير وقرب ظهوره ، فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران:٤٠] ، فالقادر الذي يستطيع أن يسلب خواصّ الأشياء فيجعل اللسان الناطق أبكم ، لا يستطيع أن يتحرك بكلمة ، يستطيع أن يُودع ما شاء من مخلوقاته ما شاء من خواصّ ، والقويّ الذي يستطيع أن يمنع يستطيع أن يُعطي .

٧ـ آيات الله وقدرته

وظهرت آيات الله وقدرته في جسمه ثم في بيته وأسرته ، وولد يحيى ، فقرت به عينه ، واشتدّ به أزره ، وعاشت به دعوته .

واسمعوا القرآن يحكي هذه القصة تارةً في إيجاز وطورًا في تفصيل ، فيقول :

﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ .

[الأنبياء:٨٩]

٨ ـ يحيى يضطلع بأعباء الدعوة

ويولد يحيى فيكون قرة عين لأبويه ، وخليفة لوالده العظيم ، فيضطلع بأعباء الدعوة إلى الله والدين الخالص ، تظهر آثار النجابة منذ الصغر ، فيقبل على العلم بشغف وهو غلام ، ويتحلى بالصلاح والتقوى وهو شاب ، ويمتاز عن أقرانه في الحب والحنان ، والبر بالأبوين يُشار في ذلك إليه بالبنان ، يقول الله تعالى مخاطبًا له : ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٢] .

***